

بدايات الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية

لنلاحظ أولاً أن الفرنسية كانت مهيمنة خاصة بعد توفير التعليم البسيط والمحدود للجزائريين، وهو ما يجعلها أداة التعبير الرسمية والمحبذة لا سيما في أوساط ميسوري الحال بوصفهم المعنيين الأوائل بالتعليم لقاء خدمات أهاليهم للإدارة الاستعمارية. كما أن الأدب الذي تلقاه الجزائريون كان الأدب الذي انبثق عن الرؤية الاستشراقية والاثنوغرافية؛ أي ذلك الأدب الذي كرس صورة مشوهة للإنسان الجزائري. كانت إذن " إبداعات المستوطنين أنفسهم كانت الزاد الذي تغذى به بعض الجزائريين في مطلع القرن العشرين، بعدما فرضت عليهم السلطات الفرنسية التعليم باللغة الفرنسية، وحظرت التعليم باللغة العربية.. وفي غياب التواصل مع الشعوب العربية المجاورة لم يجد المثقفون الجزائريون آنذاك إلا تقليد الأدب الفرنسي، سواء في أشعاره أو كتاباته النثرية بداية بالمقالات التي كانت تنشر في المجالات والصحف التي أخذت تعرف الوجود ". وبالفعل فقد " كانت كتابات هذه الموجة من الروائيين » الأهالي « تتميز بنسخية واضحة، قدمت الإنسان الجزائري في صورته الفلكلورية السياحية الاستهلاكية. كما النص نفسه من حيث البناء الجمالي، لم يتخلص من كتابة مغامرات مبسطة وتافهة، وحكايات غرامية بين الأهالي و«الفرنسيات» و«المسلمات»، إذ تصور الإنسان الجزائري غريزياً، وساذجاً طيباً، وخبيثاً دمويّاً." "فهذه الموجة من الكتاب متوجهة إلى « الآخر»، تريد أن تشعره أولاً بأن الانتلجانسيا الأدبية الأهلية قادرة على الكتابة، التي هي ظاهرة حضارية، لكن الهموم والمشكلات المطروحة في النصوص، لا تتعدى أن يكون هذا» الجزائري « إطاراً وموضوعاً للتسلية والفلكلور، بمفهومه الاستهلاكي التحقيري".

وبعبارة أحمد منور فإن " الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية الذي سبق سنة 1950، كان في معظمه يسير في ركاب الاستعمار ويعبر عن طروحات تنفق أو تتطابق مع طروحات الاستعمار السياسية والفكرية، فقد كان كتابه منذ ظهور النماذج الأولى سنة 1920، من أولئك الذين كانوا يطلقون على أنفسهم اسم المتطورين *Les évolués* ".

إن هذه العبارات تلخص الطابع العام لكتابة الجزائريين بالفرنسية قبل ظهور الكتاب الملتزمين بقضية الإنسان الجزائري لكن النصوص والتواريخ تحتاج إلى المراجعة.

البدايات:

فعلا كتب محمد بن رحال⁽¹⁾ (M'hamed Ben Rahal) أقصوصة " انتقام الشيخ «La vengeance du Cheikh» " سنة 1891

(1) ولد محمد بن رحال (M'hamed Ben Rahal) بندرومة سنة 1857 لأحد أعيانها وأثريائها وقاضيتها، عينه الأمير عبد القادر بها وأقرته السلطة الاستعمارية، لكنها أحالته إلى التقاعد في 1878 لرفضه أن يكون مجرد منفذ للاستعمار. زاول ابنه محمد المثقف الورع دراسته إلى البكالوريا وعض أباه في 1878 واستقال في 1884 من وظيفته في الإدارة الكولونيلية. تم الاستماع إليه رفقة الطبيب مرسلي والدكتور بن العربي بالعاصمة سنة 1891 من لجنة (الثمانية عشر) البرلمانية برئاسة جول فيري (الأب الروحي للمدرسة العمومية الفرنسية) الذي جاء للتحقيق في الجزائر وأدان اعتباطية نظام (الأهلية *régime d'indigénat*) وطالب بإصلاح الجباية وتعميم التعليم العمومي وحق التمثيل السياسي للجزائريين في البرلمان. شارك في مؤتمر 1897 في مؤتمر المستشرقين ببباريس، ومن 1903 إلى 1907 كان مستشاراً مسلماً للمجلس العام بوهران. في 1912 ترأس وفداً عن مقاطعة وهران لطلب إلغاء مرسوم ميسيمي *Messimy* الذي فرض الخدمة العسكرية على الشباب الجزائري ولم يلق إلا السخط والشجب من المحتل المتعجرف. عرف بتميزه البلاغي باللغتين (بشهادة فرحات عباس في ليل الاستعمار وبشهادة البشير الإبراهيمي: آثار الإبراهيمي 129/5..). في 1920 كان مستشاراً لدائرة الرمشي، ويذهب سنة 1921 إلى فرنسا يائساً ليطلب مرة أخرى إلغاء (نظام الأهلية)، وفي 1925 عين نائباً لرئيس المجلس العام بوهران وهي سنة عرفت تجنيداً إجبارياً لعدد كبير من الشباب الجزائري وعملوا في الخطوط الأولى في غزو سوريا أين تمت إبادة جميع المتحصنين في دمشق. وبالإضافة إلى القصة التي كتبها فقد كان مشاركاً في كثير من الصحف الجزائرية (والفرنسية) الأولى، وتوفي سنة 1928.

ونشرت في نفس الفترة 1896 (قصائد) لعثمان بن صالح، ولسمار عمر Omar Samar (علي بن ذياب) : في 1893: بعنوان: علي، آه يا أخي و: هذيان الروح (رواية عن تقاليد الأهالي) ونشرت حكاية قبائلية لمحمد عبدون: 1902 "الفجر والوسام الفضي" وكتب سليمان بن براهيم مع إتيان دينيه قصصا ورواية، كما نشر ديوان: (أناشيد النذير) لسيدي قاسم les chants (Sidi Kassem) du nadir: سنة 1910 ونشرت لأحمد بوري رواية متسلسلة في جريدة الحق بوهران وهي مسلمون و نصرانيات سنة (1912). إضافة إلى أشعار بعنوان: "قصص وأشعار إسلامية" سنة 1917 لسالم القبي " أشعار بعنوان: "قصص وأشعار إسلامية".

لكن هذه الأعمال تبقى غير واضحة المعالم في غياب نصوصها، وهو طريق مفتوح للبحث العلمي.

في نظر جون ديغو مرّ الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية بثلاث مراحل:

مرحلة التقليد والمثاقفة من 1900 إلى 1950
مرحلة الرواية الأثنوغرافية من 1950 إلى 1955 تضم أعمال محمد ديب الأولى ومولود فرعون ومولود معمر،
مرحلة الأدب المقاوم 1955 إلى 1962 مع أعمال مالك حداد وكاتب ياسين
مرحلة ما بعد الاستقلال ظهرت فيها أعمال أخرى تنتمي للأدب المقاوم أو الثوري لمحمد ديب ومولود معمر
وياسين وغيرهم.

مرحلة التقليد والمثاقفة من 1900 إلى 1950

سنقف عند نماذج من هذه الفترة.

ومن أقدم النصوص نجد قصة: Ahmed ben Mostapha, goumier (القومي أحمد بن مصطفى) أو (أحمد بن مصطفى – الخيال) لمحمد بن الشريف (1) التي كتبت سنة 1920. ويعدها "ديجو" الانطلاقة الحقيقية لهذا الأدب المكتوب بالفرنسية، ويبدو أن: " الرواية تصور مشاهد للبطل أحمد بن مصطفى أو الخيال، الذي يتعهد عسكريا مع مجموعته لدى الجيش الفرنسي للذهاب إلى المغرب بغية تحريره ونشر السلام فيه... بفضل شجاعته قاد الفيلق و نجح في مهمته.. ليجازيه القائد العام بوسام عسكري ومنه ينتقل إلى أهله بأولاد نائل و يحضر مشهد عرس ببادية الجلفة. وفي مشاهد عرضية يصور الكاتب الحرب الشرسة التي دارت بين الصقور الصائدة وطائر الحبارى و يشده الحنين إلى بلاده الجلفة مسقط رأسه... والرواية تتعرض للوطن والمنفى والصدقة و الحرب والغربة والمرض.. بأسلوب جيد، استعمل اللغة الفرنسية أداة للتعبير، وحوار مشوق...".

البطل أحمد بن مصطفى وهو قائد من (الأهالي) تم توظيفه لغزوة من أجل إقرار النظام بالمغرب الأقصى وقاتل بالحرب العالمية الأولى ويقتل أثناء أحداثها بعد أن أسره الألمان. عبر هذه القصة وبصيغ أوتوبوغرافية ورسائلية وشعرية تتطور مبادئ الناش في ذلك الوقت. فرغم تعرضه لمسائل ترتبط بالاحتلال، إلا أنه يثير قضايا تتعلق بالحدثة والتجدد، ويروي تعلم البطل لسلوكات جديدة في العلاقات الاجتماعية خاصة مع النساء الأوروبيات، لذا نجده يقول: " لقد تطور العالم ممن دوننا، افتح عينيك يا بني، وانظر ".

(1) صدر سنة 2007 مترجما إلى العربية من طرف: شعثن الشيخ و أحمد حيرش في إطار الجزائر عاصمة الثقافة العربية . والكاتب: محمد بن الشريف من مواليد الجلفة سنة 1897، تعاون جده سي الشريف بن الاحرش مع الأمير عبد القادر. درس محمد بثانوية العاصمة، ثم زميلا للأمير خالد بالمدرسة العسكرية سان سير بفرنسا سنة 1897 ومنها 1899 تخرج برتبة ملازم. عين ضابطا بأمر الحاكم العام شارل جونار، ثم كان ملازما أول في كتيبة السباهي (أو السباعي) spahis في 1905. وفي 1908 حارب مع قومه son goum في المغرب الأقصى، يحج سنة 1913، ويلتحق بعد عودته إلى الجزائر سنة 1914 بالجبهة الفرنسية ويقع أسيرا في (ليل) في أكتوبر 1914 أين يصاب بمرض وينقل بعد 16 شهرا من حبسه إلى سويسرا للعلاج، وتتم إعادته إلى وطنه سنة 1918 وتتم ترقيته إلى رتبة كابتن، ويستعيد قيادة قبيلته. ويصاب عند انتشار مرض التيفوس بالجلفة ويموت سنة 1913.

ومن أقدم النصوص أيضا رواية *zohra la femme du mineur* (زهرة زوجة المنجمي) لعبد القادر الحاج حمو (1) التي نشرت سنة 1925.

وتدور أحداثها في مليانة حيث كانت في العشرينات مختلطة بالمنجميين والسكان القادمين من كل مكان، وتحكي قصة عائلة جزائرية تعيش في بساطة وهدوء يغمرها الورع والإيمان، لكن يجب عليها دفع الثمن لكي (تتضرر)، وأي ثمن؟ إنه ثمن انحطاط الشخصية البشرية.. إن مجرى الحكاية نفسها بسيط. والحبكة غير المتميزة لا تعمل على تضخيم الرواية. سي ملياني الرجل المستقيم والمؤمن والمحترم، يعمل في منجم للحديد ب (زاكار). وخلال ذلك تقوم زوجته الشابة برعاية المنزل. كانت الحياة تسير بشكل جيد إلى غاية ظهور هذا الايطالي الغامض غريميسي صديق ملياني. وهو الذي جر الرجل إلى الشراب، وهو نفسه من أرسله إلى السجن لمدة ليلة أولا ثم ليقضي خمس سنوات فيما بعد. وأمام هذا التغيير المفاجيء لملياني، حاولت زوجته زهرة رده إلى الصواب، ثم انتظرت وصبرت في الأخير إلى وفاتها حاملة معها الصورة الأولى لزوجها. وفي نفس اليوم الذي دفن فيه زوجته، يحكم على ملياني ظلما بتهمة قتل ويعاقب بخمس سنوات من الأشغال الشاقة، بينما لا يقضي القاتل الحقيقي إلا سنة واحدة في السجن. والحبكة تدور حول ملياني وزهرة، لكن غريميسي وزوجته تيريز والشابة اليهودية روزيت فتانوية. هجر الايطالي زوجته ليذهب للعيش مع روزيت، وتدفع الغيرة زوجته فتقتله ببندقية ملياني. ولم يجد ملياني الشجاعة عند خروجه من السجن ليعود إلى مليانة فيذهب إلى المغرب منتحلا اسما آخر (المنسي) " ذكرى لزوجته التي نسيها". وبعيد عن هذا المقطع القصصي فإن الكاتب أثار عددا من القضايا في الرواية، مثل انتقاد الطريقة، والتشاؤم، و" الأبناء الذين لا يحصون لشيوخ الطريقة". كما تعرض لاستغلال الفرنسيين للجزائريين، واللامساواة في العمل بين الجزائريين والأخرين، والتعالي اللغوي، يقول: " كيف.. أنجراً على مقارنة اللغة الفرنسية بلغة من لغات المتوحشين؟". أما المرأة الجزائرية ودورها فقد صور دون بقع أو شوائب إذ تظهر على طول الكتاب كحامية للشخصية الجزائرية. كما تتضمن الرواية وصفا لتأثير الاستعمار في تغيير العادات الدينية تقول المرأة: " كان هذا الرجل يؤدي صلواته الخمس اليومية.. ما أسرع ما نتعب من الفعل الخير، من العيش في سلام.. فيما سبق كان يمتنع من النظر إلى وجه امرأة ولو كانت أوروبية، لقد صار أقل صرامة مع نفسه..".

أما شكري خوجة (2) فنشر سنة 1928 رواية: (مأمون؛ بدايات مثل أعلى (Mamoun L'ébauche d'un idéal) ثم (العلج أسير البرابرة (El Euldj captif des barbaresques) 1929. ونشرا في كتاب واحد OPU 1992.

يوحي عنوان الرواية الأولى بالبحث عن المثال، وعما تنتمثله عن هذا المثال ونسعى لتحقيقه، وهو ما ستؤكدده قراءة الرواية.. وروايته (مأمون، مشروع مثال أعلى) نشرت بترجمة محمد بوعلاق بالجزائر (ANEP) سنة 2010 بعنوان (مأمون، مشروع حلم جزائري). ونشرت رواية (العلج أسير البرابرة) بترجمة سامية سعيد عمار إلى العربية سنة 2007. تجري أحداثها بالجزائر العاصمة خلال فترة الاحتلال في العشرينات. ومأمون بطل الرواية هو شاب جزائري قاده اندماجه بثقافة المحتل إلى ضياعه. هو ابن (القايد) بودربالة. وقد أظهر منذ سنة ثلاث سنوات اهتماما بالانبهار بالآخر " عيناه، السوداوان والمتصيدة، تثبتت بإلحاح على فتاة عربات القطار الممتلئة بالزركشة، أين يستمتع (الرومي) بالقيادة" خلافا لأمثاله الذين لا يلمسونها. وعلى أمل أن يراه محاميا فقد أرسله أبوه إلى ثانوية الجزائر العاصمة على رغم تحفظ أمه (حدهم). وعند

(1) لا يعرف الشيء الكثير عن عبد القادر الحاج حمو، فهو من مليانة، كتب ألبير دو بوبورفيل (وهو عنصرى) مقدا " كتب هذا الكتاب بريري من جنس إفريقي وأسمر " ويمضي في إبراز سذاجة الرواية بل وأخطاء لغوية. ثم يعود ليستخدمه كدليل على طيبة فرنسا وأن هذا هو هدفها تحضر الجزائريين. [ما تعلق بعبد القادر حاج حمو وروايته مقتبس من عبروس توديرت: المجاهد الثقافي عدد 243 ، 25 ماي 1977

(2) ولد شكري خوجة (واسمه الحقيقي حسن خوجة حمدان) بالقصبة بالجزائر العاصمة سنة 1891، لأسرة تجار صغار. وكان جده لأمه كاتباً ورئيس محكمة الجزائر. تعلم بمدرسة الأهالي (سوسطارة). ولدى موت أبيه في سن 16 سنة، عما كمحاسب لدى تاجر يهودي، وبعد سنة ينجح وينتقل إلى (المدرسة) بالجزائر، ويحصل على شهادة عليا سنة 1922. وينجح في مسابقة مترجم قضائي فيعين بالرمشي ثم واد فودة ثم تابلط ثم الدية ثم يستقر بالبلدية. وفي 1933 صار ممتحنا لكل أقسام التراجم القضائيين ولتأثره بأحداث الحرب وما فرضه الاستعمار على الجزائريين طلب تقاعده متوقفا تدريجيا من عمله. ثم التقاعد النهائي سنة 1960. كان صديقا لعبد القادر حاج حمو، واشتغل بالعمل الجموعي فأسس بالمدينة مع المفتي فخار جمعية مساعدة اجتماعية، وفي البلدية جمعية ثقافية إسلامية جلبت له متاعب مع المحتل. وتحصل روايته الثانية سنة 1922 على جائزة جمعية الفنانين الأفارقة. ويصاب بنوبة عصبية في أواخر حياته فيدمر كل مخطوطاته ويموت سنة 1967 وعمره 76 سنة.

وصوله إلى العاصمة ولج بسهولة إلى قطار حياة الفرنسيين " .. كان يفقد زملاءه الفرنسيين في كل شيء، يشرب الخمر، يأكل بشكل طبيعي شرائح الخنزير ..". فلم يبق فيه في سن العشرين شيء يشير إلى أنه مسلم؛ ولم تحتفظ ذاكرته إلا بالقليل من ذكريات طفولته. بعد طرده من الثانوية يستسلم مأمون لملاذات الحياة مترددا على المخمرات والملاهي، ومخالط للنساء، ودفع ثمن جموحه في الحياة من صحته المتدهورة. ويتعرف على امرأة متزوجة (مدام ربامبيار ليلي امتورنيا) التي أصبحت عشيقته. وقد جعله التشخيص الطبي المفزع لحالته يمعن في التفكير في مستقبله وكذلك في الإسراع في تكفله بنفسه والبحث عن عمل بعد أن قطع عنه والده كل مساعدة لكن كل محاولاته باءت بالفشل بسبب سوابقه. ولم يبق له إلا صحبة أستاذه السابق (رودومسكي) الذي قدم له بعض الموااساة وفرصة للتعبير عن آرائه عن تعايش الفرنسيين مع الجزائريين حول وضعية الجزائريين بالخصوص بالنظر إلى هذه الحضارة التي جاء الآخر ليقدمها لهم. وسيساعده هذا الأستاذ نفسه على الخروج من السجن ودفعه لطلب الصفح من والده، من أجل أن يتمكن أخيرا من العودة إلى منزله ليموت بعد أن نطق بالشهادتين.

تندرج رواية شكري حوجة ضمن أدب ما بين الحربين، وهو أدب يتجه في جوهره إلى الفرنسيين لتمجيد (الأم المحضرة)، لكن مع تمرير بعض المآخذ على سير نظامها كما يسجل جون ديوجو.

وكتب محمد ولد الشيخ⁽¹⁾ 1936 رواية: (مريم بين النخيل)

مريم منحدره من زواج مختلط أبوها الضابط (دابيسي) فرنسي تزوج من جزائرية مسلمة (خديجة)، ورغم أنهما رزقا بولدين طفل وبنت مريم وجون حفيظ، إلا أن هذا الزواج عرف عددا كبيرا من المشاكل؛ كعدم تفاهم الوالدين، ومقت الزوج لزوجته. والأب هو الذي يفرض إرادته في التربية قسرا، فيذهب الولدان إلى المدرسة الفرنسية لكنهما لا يتلقيان أي تربية دينية بحجة أن الأب ذو تفكير فكر حر فلا يريد لأبنائه أن يتعصبوا فلا يتعلموا لا الكاثوليكية ولا القرآن)، ومنه فإنهما سينميان ثقافيا إلى الفضاء الأوروبي لكن دينيا يبقيان غير منتميين، بين الإسلام والنصرانية. بعد موت الأب في معركة الريف بالمغرب الأقصى قررت الأم أن توجه ولديها نحو مجموعتها الدينية والثقافية أي الإسلام والعروبة وهنا تبدأ أحداث القصة. مريم شابة عصرية تلبس وتتصرف مثل فرنسيات عصرها ووسطها، حتى أنها تمارس الطيران، وهي خطيبة إيباتوف Ipatoff، شاب مغامر من أصل روسي. بينما أخوها يتبع خطوات أبيه وينخرط في الجيش. والرواية تبدأ بمشهد جد معبر حيث تتلقى مريم درسا في العربية يقدمه لها شاب مسلم " متعلم ومتحضر". وكانت الأم سعيدة بمعرفة أن ابنتها تتعلم لغة أسلافها وترجو في داخلها أن تتطور علاقات ابنتها بمعلمها الشاب (أحمد) إلى حب متبادل. ويحس إيباتوف أن موقعه كخطيب صار مهددا ويعبر عن غضبه من مريم مع (عربي). لكن عباراته المتعجرفة والجارحة نحو أحمد لم تفعل إلا أن أيقظت في داخل الفتاة مشاعر ظلت إلى ذلك الوقت دفينه بل ودفعت نحو معلمها وللبحث عن هوية جديدة. فمن الواضح أنها لا تريد أن ترتكب الخطأ الذي ارتكبته أمها بزواجها من فرنسي، أي أنها لا تريد أن تجد نفسها في نفس الوضعية التي عاشتها أمها. فتنفصل مريم إذن تدريجيا عن إيباتوف وتتقرب من أحمد. فعن طريق مغامرات وصدف الحب فقط سيتمكن ابنا خديجة من الوصول بصورة طبيعية إلى تركيب نتيجة من تربيتهما الفرنسية وثقافتهم العربية الإسلامية اختاراهما من خلال الرواية بحرية. وخلال مغامرة غريبة تحمل هؤلاء الأشخاص إلى تافيلالت أثناء تدخل الجيش الفرنسي للهجوم على واحة الثوار وقمع التمرد، تقع مريم في يد زعيم الواحة (الطاغية بلقاسم). ويقع أخوها أسيرا أيضا عندما ذهب لتحريرها. ويأتي فارس غامض لنجدتهما وبعد مواجهة قوية يفوز بيد مريم، والفارس هو أحمد. وتنتهي الرواية بسيطرة الجيش الفرنسي، لكن تتحقق أمنيات خديجة، فتنزوج مريم بأحمد، ويرتبط أخوها جون بشابة بربرية التقاها في تافيلالت. وبزواجها يكون الشبان قد اختارا العودة إلى الطائفة الأم.

(1) ولد محمد آغا المعروف بمحمد ولد الشيخ (1906-1938) ببشار أين درس الابتدائي، ثم واصل دراساته الثانوية بوهران. ولم يتحمل رطوبة مناخ وهران ولظروفه الصحية يتوقف عن الدراسة ويعود إلى بشار. وبها يستمر في التعلم عصاميا، ورغم تعلقه بالحدائق إلا أنه ظل متمسكا بأصوله الثقافية والدينية الجزائرية. ويعرف ككاتب موهوب ابتداء من 1924 حين نشر أقصوصته الأولى (راضية في الصحراء Razzia au désert) متبوعة بـ (غسق - أو غروب - الإسلام Crépuscule de l'Islam) وبين 1925 و1928 كتب أقاصيص أخرى (مكتوب Mektoub) و (المتنان El-Metnan). وفي الشعر، نشر: (حفلة التنكر Le Bal masqué) 1924، و (أفراح جنائزية) و (المهجورة La Délaissée) إضافة إلى رواية (التألم الخفي La Souffrance secrète). وفي 1937 كتب مسرحيتين (الخليفة وخالد Le Khalifa et Khaled) و (شمشون الجزائري Le Samson algérien). والأولى عن الأمير خالد، وقد أخرجها بالدرجة محي الدين باشطارزي آنذاك.

وخلال الرواية يلفت انتباهنا في التمهيد الذي كتبه المؤلف لروايته حول التاريخ القريب لتأفيلات المعروفة في التاريخ سـجـلمـاسـة، تلك التعابير التي يستعملها المؤلف في كلامه عن سكان البلاد من جهة وعن الفرنسيين من جهة ثانية، فيصف أحد زعماء الثوار (بالمغامر)، ويعتبر سكان القصور بمقاومتهم للاحتلال الفرنسي "قد خانوا القضية الفرنسية"، ثم يتحدث عنهم بعد الاحتلال فيقول "إن العمال والتجار القصوريين كانوا يعيشون سعداء في كنف فرنسا العظمى".

ومن أبرز أوائل الشعراء **جون عمروش (1)** ومجموعته الشعرية الأولى (رماد) 1934. ومنها:

هل يكون لدي وقت لأكتب ولأبكي
هل تكون لي حياة للروح ووقت للخلق
هل تكون لدي أيضا قوة لأتحرك ولأعطي؟
ومنها أيضا:

" أنت الذي نريد أيها النور !..

النور..

أنت ما نبحت عنه.. "

يقول عمروش تعبيراً عن قضية اللغة: " عندما تكون في وضعية المستعمَر، فإنك مجبر على استعمال هذه اللغة التي أعيرت لك، وإنك تستخدم هذه اللغة لهدف واحد هو مدح وإطراء لأهلها، وحين تريد أن تستعمل هذه اللغة بحرية، لحاجة التعبير بها وتستخدم كل إمكانيات المهاجمة أو النقد، فإنك تكون قد ارتكبت في هذه الحالة خطأ لا يغتفر، ولذلك فهم يذكرونك بأنهم حين منوا عليك وعلموك الفرنسية، فليس لتستعملها ضدكم.. كم مرة قيل: أنت الرضيع الذي يضرب مرضعته".

إلى جانب قضية الاستعمار، تورد قضية العرق والاختلاف الذي نجم عنه الاحتقار والطرْد، يقول: " كان عمري إحدى عشرة سنة، مسيحي قبائلي صغير، كنت محشورا بين الكتل القوية التي كان زملائي في الدراسة يتكونون منها ، فكنت مرتدا بالنسب المسلمين، ولحما مبيعا عند الإيطاليين، و(بيكو) في نظر الفرنسيين".

يقول في (النجمة الخفية – أو السرية-):

لقد تنشقت لحم العالم وكان العالم يرقص في داخلي،

حضرت تألف النسخ، وتألف المياه الجارية، من شهيق (تنهد) البحر.

كنت ممتلئا بحلم الأعشاب، والربى الناعسة كنساء بعد الحب.

لكنني أضعت روح الطفولة، الوفاق التام مع الإيقاعات المقدسة

امتلاً فمي بالمذاق اللاذع للمعرفة. وموسيقى العالم التي تترقرق في ربيع الطفولة تغيب شيئاً فشيئاً في الخطوة المتوحدة للدم.

بين الأشياء المتوحدة حيث تسبح ذكرى نور، تكثف ليل الإنسان.

كما يبرز **نور الدين عبة** Nouredine Aba وهو شاعر ومسرحي وكاتب مقالات وروائي بارز . ولد نور الدين عبة Nouredine Aba بسطيف سنة 1921، درس بثانوية ألبيرتيني (القيرواني) في نفس فترة دراسة كاتب ياسين. و هي الفترة التي كتب فيها قصائده الأولى وانخرط في حركة انتصار الحريات الديمقراطية (MTLD). والتحق بكلية الجزائر العامة ليتم دراسته في الحقوق وهو ما لم ينهه بل تفرغ للصحافة. وبهذه الصفة تمكن من حضور محاكمة نورنيبرغ الشهيرة للنازيين سنة 1945. ومجاوبته لهذا الحدث التاريخي دفعه ليضع إنتاجه الأدبي والمسرحي في خط الرؤية الإنسانية الشاملة. وأقام بفرنسا وبها اشتهر، وشهرته في الأوساط الأدبية جعلته عضواً في أكاديمية علوم ما وراء البحار وللمجلس الأعلى للفنونكوفونية، وللأكاديمية الكونية واتهمه البعض أنه ترك الجزائر بحثاً عن الرغد، وهي تهم أقضجت مضجعه خاصة لدى عودته إلى

(1) ولد جون الموهوب عمروش (1907 - 1962) بابيغيل علي بمنطقة القبائل، وهو أخو الطاوس عمروش، استقرت عائلتهما بتونس، وبعد تفوق في المدرسة العليا بسان كلو، يشتغل مدرسا للأدب بثانوية سوسة ثم عنابة ثم تونس، أين يتعرف على الشاعر أرمون جيبار. وينشر أولى أشعاره سنة 1934. واستقر في 1943 بالجزائر ويعمل بسكرتارية الإعلام ثم الإذاعة الفرنسية، ويؤسس برعاية أندريه جيد مع جاك لاسان *Jacques Lassaigue* مجلة (لارش *L'Arche*). ثم إلى فرنسا إلى 1947، ونشط عددا من الحصص الأدبية بالإذاعة التونسية والفرنسية وفيها استقبل أكبر الكتاب والمفكرين ثم طرد منها فعمل بالإذاعة السوسرية. وتوفي بالسرطان سنة 1962.

الجزائر في الثمانينات.. وهو ما ذكره في روايته الوحيدة (نشيد ضائع في بلد مسترجع) والذي نال جائزة إفريقيا المتوسط 1979. وينخرط في التسعينات بقوة في الحرب ضد التعصب وساهم على المستوى العالمي في الدفاع عن الصحفيين ورجال الثقافة الجزائريين. أنشأ في الجزائر مؤسسة تحمل اسمه التي قدمت الجائزة الأولى للظاهر جاووت أشهراً قليلة قبل اغتياله، والجائزة الثانية لجمعية الصحفيين الجزائريين (AJA). ترك عند وفاته سنة 1996 أكثر من عشرين مؤلفاً وما لا يحصى من المقالات.

وقد أصدر كاتب ياسين⁽¹⁾ مجموعته الشعرية: (ابتهاالات) *Soliloques* 1946. يبدأها بقوله:

مهما يقول الأمل العتيق

لنقتحم أبواب الشك..

لقد رأيت أوهاما كثيرة

تنتقل من الأخضر إلى الأحمر

كان يعتبر اللغة الفرنسية " غنيمة حرب". يقول: " واستعمال الفرنسية لا يعني أننا وكلاء لقوة أجنبية. أكتب بالفرنسية لأقول الفرنسية أنني لست فرنسيا".

(1) ولد كاتب ياسين KATEB Yacine بقسنطينة (بزيغود يوسف) من أصل يعود إلى قالمة في 02 أوت 1929، وتوفي بغرونوبل في 28 أكتوبر 1989، ودفن بمقبرة العالية بالجزائر العاصمة. كان جده نائبا للقاضي (باشا عدل) أما أبوه فمحام. دخل كاتب الكتاب في 1934 بسدراته ثم المدرسة الفرنسية في 1935 ببوقاعة أين أقامت عائلته، ثم انتقل بنظام داخلي للدراسة بسطيف بثانوية ألبيرتيني (القيرواني حالياً). حين وقعت أحداث 08 ماي 1945 التي شارك فيها كان في السنة الثالثة وتم إيقافه بعدها بيومين وحبسه شهرين. فانخرط نهائياً في القضية الوطنية. وبعد طرده من الثانوية ومروره بمرحلة اضطراب قضاها مع كتابات بودلير ولوتريامون، أرسله والده إلى ثانوية عنابة أين التقى بنجمة (قريبة التي تزوجت) وقضى معها ثمانية أشهر، وبها نشر سنة 1946 أول مجموعة قصائده. وكان آنذاك منخرطاً في العمل السياسي يقدم محاضرات بإشراف حزب الشعب الجزائري. وفي 1947 وصل باريس وفي ماي قدم محاضرة بقاعة جمعية المفكرين Sociétés savantes عن الأمير عبد القادر، وانخرط في الحزب الشيوعي الجزائري. وفي رحلته الثانية إلى باريس نشر في السنة الموالية "نجمة" في مجلة ميركير فرنسا Le Mercure de France. عمل صحفياً بيومية (الجزائر الجمهورية *Alger républicain*) بين 1949 و1951، وكان تحقيقه الصحفي الأول في العربية السعودية وفي السودان، ولدى عودته نشر بالخصوص تحت اسم مستعار (سعيد العمري) مقال يفصح فيه أعمال النصب والاحتيايل بالبقاع المقدسة بمكة.

بعد وفاة والده في 1950، يعمل في 1952 حمالا بالجزائر العاصمة. ثم يستقر بباريس إلى 1959 أين كان يعمل مع مالك حداد ويرتبط بأحمد إيسياخم، وفي 1954 ناقش مطولا برتولد بريخت Bertolt Brecht. وفي 1954 نشرت مجلة إيسبري Esprit (الجنة المطوقة) التي جرى تمثيلها على خشبة من طرف جون ماري سيرو لكنها منعت في فرنسا. وظهرت نجمة في 1956. وطوال حرب التحرير ولمضايقة إدارة رقابة الإقليم عاش كاتب تشردا طويلا مدعوا ككاتب أو معتمدا على مهن صغيرة بفرنسا وبلجيكا وألمانيا ويوغسلافيا والاتحاد السوفياتي.

في 1962 وبعد إقامة بالقاهرة، يعود كاتب إلى الجزائر بعيد الاحتفالات بالاستقلال. ويستعيد تعاونه مع (الجزائر الجمهورية)، لكنه يجري بين 1963 و 1967 إقامات عديدة بموسكو و بألمانيا وفرنسا ومسرحيته (المرأة المتوحشة *La femme sauvage*) التي كتبها بين 1954 و 1959 مثلت بباريس سنة 1963، وكذلك (الأسلاف يضاعفون شراستهم *Les Ancêtres redoublent de férocité*) مثلت في 1967، ومثلت (غيرة أو مسحوق الذكاء *La Poudre d'intelligence*) في 1968 ومثلت بالعربية الدارجة بالجزائر العاصمة في 1969. وفي 1964 ينشر في (الجزائر الجمهورية) سنة نصوص حول (إخوتنا الهنود الحمر *Nos frères les Indiens*) ويروي في (جون أفريك *Jeune Afrique*) لقاءه مع جون بول سارتر، في وقت كانت أمه مقيمة بمستشفى الأمراض العقلية بالبلدية ونشر (وردة البلدة *La Rose de Blida*) في الثورة الإفريقية جويلية 1965. وفي 1967 سافر إلى فينتام، وهجر الشكل الروائي كليا وكتب مسرحية (الرجل ذي الأحذية المطاطية *L'homme aux sandales de caoutchouc*) نشرت ومثلت وترجمت إلى العربية سنة 1970.

ويقوم بشكل أطول في نفس السنة بالجزائر رافضا الكتابة بالفرنسية. وبدأ العمل على إعداد مسرح شعبي ملحمي وساخر يمثل بالعربية الدارجة. وبدأ من فرقة (مسرح البحر) بالقبة سنة 1971 التي تكفلت بها وزارة العمل والشؤون الاجتماعية وخلال خمس سنوات تجول مع الفرقة عبر كل الجزائر أمام جمهور من العمال والفلاحين والطلبة. وكان أهم عروضه: محمد خذ حقيبتك *Mohamed prends ta valise* 1971، صوت النساء 1972، حرب المائتي سنة 1974، ملك الغرب 1975، خيانة فلسطين 1977. وبين 1972 و 1975 رافق الفرقة لعرض مسرحيتين منها إلى فرنسا وألمانيا الشرقية. وعند العودة تم تغيير مقر الفرقة من القبة إلى باب الواد ثم تم إبعاده في 1978 إلى سيدي بلعباس إدارة المسرح الجهوي بها. وراح يقدم مسرحياته في المؤسسات التعليمية والشركات بعد منعها في التلفزيون. في 1986 سلم كاتب مقتظفا من مسرحية نيلسون منديلا، وتلقى في 1987 بفرنسا الجائزة الوطنية الكبرى للآداب. وفي 1988 أنشأ مهرجان أفينيون البورجوازي عاريا أو شبح حديقة مونسو *Le Bourgeois sans culotte ou le spectre du parc Monceau*

التي كتبت بطلب من المركز الثقافي بأراس من أجل مرور قرنين على الثورة الفرنسية (حول روبسبير)، فأقام بفيرشيني (دروم). وقام برحلة إلى الولايات المتحدة الأمريكية لكنه استمر في زيارته إلى الجزائر. وتركت وفاته عملا غير مكتمل عن الاضطرابات الجزائرية في أكتوبر 188.

في 2003 سجل عمله في برنامج لكوميديا الفرنسية.
أعماله:

مناجيات. قصائد من نشر مطبعة توماس القديمة بعنابة 1946. أعيد طبعها 1991 بالجزائر مع مقدمة له.
عبد القادر واستقلال الجزائر. مطبعة النهضة، الجزائر 1948.
نجمة (رواية). نشر سوي باريس. 1956.
دائرة الانتقامات (مسرحية) Le Cercle des représailles. نشر سوي باريس. 1959. وتضمن عدة أعمال: مسروق الذكاء - الأسلاف يضاعفون شر استهم- العقاب - بتقديم: إدوارد غليسون: التشيد العميق لكاتب ياسين)
المضلة المرصعة بالنجوم Le Polygone étoilé . (رواية) نشر سوي باريس. 1966.
الأسلاف يضاعفون شر استهم (مع تعديل للنهاية). نشر باريس 1967.
الرجل ذو الأحذية المطاطية (تقديرا لفيتنام وهوشي منه) (مسرحية). نشر سوي باريس. 1970.
العمل في مقطعات (نصوص عثر عليها تم تجميعها وتقديمها من طرف جاكين أنرو). سنبداد باريس 1986.
الشاعر ملاكما (حوارات بين 1958-1989). نشر باريس 1994.
مذبحة الأمل (أربع مسرحيات). تضم (مجد خذ حقيبتك - مذبحة الأمل - حرب المانتلي عام- البورجوازي عاريا). نشر باريس 1999.
بعد منتصف الليل باثنتي عشرة ساعة (كتابات صحفية 1947-1989). نصوص جمعها ابنه أمازيغ كاتب. نشر باريس 1999.
لأنها امرأة. نصوص مسرحية جمعها زبيدة شرقي. منشورات النساء، باريس 2004.

كما نشر مالك بن نبي⁽¹⁾ رواية (لبيك، حج الفقراء) سنة 1947.

الرواية تجري أحداثها خلال الاستعمار في عنابة. وتنقل صورة عن المجتمع الجزائري الذي أفسد الاستعمار روحه وأخلاقه. وتتمركز حول رجل سكير (إبراهيم) وزوجته، و(العم محمد) المتمسك بقيمه، لكن السكير إبراهيم، هو الذي يعكس صورة الجيل المتأثر بمساويء الاستعمار. لكن التراث الذي يحمله في أعماقه جعله يعيش صراعا داخليا لعبت فيه زوجته وأمه دورا أساسيا انتهى بذهابه إلى الحج.

ونشرت جميلة دباش⁽²⁾ (ليلي فتاة من الجزائر) سنة 1947....

الرواية تركز فكرة أن الحصول على وضع اجتماعي جيد خلال الاستعمار مرهون بالاندماج في المجتمع الفرنسي دون التخلي عن ثقافتنا الإسلامية. (فـ ليلي) مثلما هو عنوان الرواية فتاة من الصحراء الجزائرية. وهي بنت أحد الأثرياء من أولاد نائل. ولهذا درست بمدرسة كاثوليكية للبنات في الجزائر العاصمة، وبموت أبيها ربتها عائلة أوروبية، وتنال تعليما جيدا حتى حصلت على وظيفة مربية في الجنوب.

ونشرت الطاوس عمروش⁽³⁾ (زهرة - أو ياقوتة- سوداء) سنة 1947 ...

(1) مالك بن نبي (1905-1973) من أبرز المفكرين الجزائريين والعالميين ركز في أعماله الفكرية وأبحاثه على دراسة المشكلات الحضارية والفكر الإسلامي. بعد دراسته في قسنطينة وعمله بتبسة انتقل ليدرس في فرنسا. واشتغل بعدة وظائف في الجزائر .

(2) ولدت جميلة دباش سنة 1910 أو 1926 بغيلاس بسطيف ، تعد أول رواية جزائرية إذ كتبت في 1947 رواية " ليلي، فتاة جزائرية". كما كانت رائدة في عالم الصحافة النسوية، ولها عدة مقالات حول حقوق المرأة، والتعليم. وتوفيت في 2010

(3) ولدت مارغريت الطاوس عمروش Taos AMROUCHE بتونس سنة 1913 لعائلة قبائلية أصلها من وادي الصومام (إغيل علي) وهي أخت الكاتب جون عمروش. كانت أمها فادمة آيت منصور إحدى أوائل التلميذات بمدرسة البنات في الجزائر، وقد تركت مذكرات

بعنوان: قصة حياتي Histoire de ma vie (نشر ماسبيرو 1968). أما أبواها بلقائم عمروش فإصله من إغيل علي، سلم إلى الآباء البيض وتم تعميده وسنه خمس سنوات. بع أن رفض الزواج بنت القرية الموعودة، هاجر مع فادمة إلى تونس حيث عمل في السكك

الحديدية التونسية. كان الطتوس عمروش صديقة أندريه جيد André Gide وجون جيونو Jean Giono. وتحلل في رواياتها وهي تغلب عليها الأوتوبيوغرافية (السيرة الذاتية) انتزاعها من الجذور، والغربة والوحدة وتعبير عن الحاجة لازدهار النساء المختنقات بالتقاليد.

منذ 1936 انطلقت في جمع الأغاني البربرية الشعبية، واعتمادا على صوتها المتميز ترجمت عددا ضخما من هذه الأغاني التي روتها عن أمها. ونالت في 1967 الأسطوانة الذهبية. وغنت بالأوبرا بباريس. كما نشطت حصصا تاريخية بالاذاعة بتونس ثم بفرنسا. وتوفيت

سنة 1976، ودفنت بباريس. أعمالها: تركت أربع روايات: جوهرة - أو ياقوتة- سوداء Jacinthe noire 1947 شارع الطبول Rue des tambourins 1969 العشيق الوهمي L'amant imaginaire (رواية أوتوبيوغرافية) 1975 الوحدة أمامه Solitude ma mère (رواية بعد

الوفاة) 1995. مجموعة حكايات وأشعار: البذرة السحرية Le Grain magique 1966.

((وهي « مارجريت طاموس عمروش » التي تأثرت في كتاباتها بكل من « توماس » و « ج.كونراد واميلي برونتي، خاصة روايتها « مرتفعات وذرينج »، غير أن روايتها « الياقوتة السوداء » و « شارع الطبول » أقرب ما تكونان إلى السيرة الذاتية، وبذلك يصعب اكتشاف مدى التأثير فيهما بالكتاب الأجنبي، وعلى أية حال، فإننا نلمس تشابهاً كبيراً بين عمروش وبين الروائيين السابقين لا سيما في مجال فن سرد القصة، فكل منهم يملك مقدرة على سرد القصة بطريقة جذابة، جاعلين من القصة المبسطة قصة شائقة، ومن القصة المعقدة قصة واضحة، وأن عمروش التي اكتسبت الخبرة من بيئتها القبائلية، هذه البيئة المعروفة بتقاليدها العريقة والغنية في الأدب الشعبي، تنعكس على روايتها « شارع الطبول » 28. فقد بلغت النضج في هذا المجال، عند اتصالها واحتكاكها بهؤلاء الكتاب الكبار. وهناك جو درامي، ومسحة من التشاؤم يخيمان على كتابات عمروش من المحتمل أن تكون قد استمدتها من هاردي، وكونراد وبرونتي. فهؤلاء الثلاثة معروفون بنظرتهم التشاؤمية إلى الحياة)) بتصرف.

وتظهر رواية (إدريس) **لعلي الحمامي** ⁽¹⁾ سنة 1948. التي هي ضرب من الرواية التاريخية الفلسفية التي لا تقتصر على بيان مثالب استعمار الغرب شمال أفريقيا قديماً وحديثاً ولكنها تعرض كذلك فلسفة شاملة للتاريخ يقتضي فهمها أكثر من ثقافة متوسطة.

(1) ولد علي الحمامي في تيهرت في الجزائر سنة 1902 أو ولد بعين الحمام بولاية تيزي وزو. وذكره علال الفاسي بقوله (عرفت من أحاديثه أنه ولد في الجزائر، من أب ريفي (بلي) من بال الحمام، وأم سوسية، م هـ ر مع والده إلى المشرق وهو صغير، حيث أقام بالإسكندرية وتعلم بمدارس الأفرنسييس). شارك إلى نائب الخطابي في ورة الريف لينتقل عند نهايتها إلى: فرنسا (1926-1928) والاتحاد السوفييتي (1928-1930) وسويسرا وألمانيا (1930-1932) والسعودية (1933) وبغداد (1933-1947) وعينه الأمير فيصل فيها مدرسا للتاريخ الإسلامي وأخيرا القاهرة (1947-1949) التي ارتحل إليها عندما بلغه لجوء محمد بن عبد الكريم الخطابي السياسي إليها. وفترة الإقامة في بغداد هي الفترة التي ألف فيها بين 1941-1942 رائعته "إدريس: رواية شمال أفريقية" بالفرنسية. ومات الحمامي صحبة التونسي الحبيب ثامر والمغربي أحمد أحمد بن عبود وآخرين في 12 ديسمبر 1949 في حادثة طائرة في سماء باكستان بعد أن مثلوا بلاد المغرب في أول مؤتمر إسلامي انعقد في هذا البلد الآسيوي المستقل حديثا. هو متقن لخمس لغات، ومساهم في تأسيس نجم شمال إفريقيا، وكان صديقا للخطابي وشكيب أرسلان وعبد العزيز الثعالبي. قال عنه البشير الإبراهيمي وهو يوارى التراب في مقبرة (سيدي أحمد) بالجزائر العاصمة سنة 1950، (إن هذا التابوت الموضوع بين أيديكم لا يحمل ثمان شخص؛ وإنما قطعة من الوطن الجزائري فُصلت عنه م ردت إليه.. قطعة من الوطن الجزائري فصلها عنه ظلم البشر م ردها إليه عدل الله).